دراسة أغراض الحطيئة الشعرية (الهجاء أنموذجاً)

طالب الدكتوراه فريد دريس
قسم اللغة العربية و أدابها،فرع آبادان، جامعة آزاد الإسلامية، آبادان ـ ايران
الدكتورة سهاد جادري الأستاذة المشرفة (الكاتب المسؤول)
قسم اللغة العربية و أدابها،فرع آبادان، جامعة آزاد الإسلامية، آبادان ـ ايران
sohadjaderi@yahoo.com
الدكتور عبد الكريم آلبوغبيش الاستاذ المساعد
قسم اللغة العربية و أدابها،فرع آبادان، جامعة آزاد الإسلامية، آبادان ـ ايران
Karim5151@gmail.com

Study the purposes of slow poetry (spelling as a model)

Farid deris
Student , PhD , Department of Arabic Language and Literature , Abadan Branch , Azad Islamic University, Abadan , Iran
Dr.sohadjaderi(responsible writer)
Consultant professor , Department of Arabic Language and Literature , Abadan Branch , Azad Islamic University, Abadan , Iran
Dr.abdol karim alboghbaish
Consultant professor , Department of Arabic Language and Literature , Abadan Branch , Azad Islamic University, Abadan , Iran

الملخص:-

يجعل الشاعر في هجاءه مظهر المهجو قبيحًا باستخدامه صور الخيال وانتسابه أبشع السمات والصفات له وسلب الصفات الحميدة أو الحقيقية منه. في الحقيقة، هي صورة رائعة مليئة من الكراهية والقبح والإذلال، حيث يهيج المشاعر والضمائر وبالتالي يلقي معانيه في نفوس الأفراد.

يعتبر شميسا قضايا علم البيان كالتشبيه والاستعارة والرمز والسخرية، وكذلك قضايا بديع المعنوي من الموضوعات التي يمكن دراستها على المستوى الأدبي (شميسا، ١٣٧٨: ١٥٨). لسان حطيئة يميل إلى البساطة ولا توجد أي صعوبة في فهم معانيه. التشبيهات والاستعارات والتلميحات في هجاء حطيئة قليلة جدا، ويبدو أن غضب حطيئة واستياءه لم يترك مجالًا لصور الخيال؛ لأن استخدام هذه الصور يتطلب قلبًا هادئًا وعقلًا مريحًا.

الكلمات المفتاحية: الحطيئة، الهجاء، الصنائع الأدبية، التشبيه، الإستعارة، الكناية

Abstract:-

In his satire, the poet makes the appearance of the delusional ugly, by using images of imagination and his affiliation with his ugliest traits and qualities, and taking away the good or true qualities of him. In fact, it is a wonderful picture full of hatred, ugliness and humiliation, as it stirs up feelings and consciences and thus finds its meanings in the souls of individuals.

Shamisa considers the issues of rhetoric such as simile, metaphor, symbolism and irony, as well as issues of Badi'ah al-Mawaliq, among the topics that can be studied at the literary level (Shamisa, 158: 1378). The tongue of Shata'a tends to simplicity and there is no difficulty in understanding its meanings. Similes, metaphors, and allusions in sluggish satires are very few, and Hatita's anger and resentment seem to leave no room for imagination; Because using these images requires a calm heart and a relaxed mind.

Key words: vulgar, satire, literary artifacts, simile, metaphor, metaphor.

المقدمة:

تعني كلمة الهجاء التوبيخ و اللوم وذكر العيوب والإهانة على شخص ما (معين، ١٣٧٩: ٥١٠٤) لكنها في الإصطلاح هي الشعر الذي قد إنشد في إدانة شخص ما. افتراء الأشخاص في الشعر بشرط أن يكون عيبا حقيقة. الهجو في الأدب الفارسي هو أول شعر هزلي وتقليدي مقتبس من الأدب العربي في العصر الجاهلية(داد، ١٣٧٨: ٥٣٥)

للشعر الهجائي عادة نبرة واضحة ولاذعة وغالبا مصحوبا بالافتراء والشتائم. الهجو يمكن أن يكون ركيكا أيضا.

لكن يعتقد البعض أن الشعر الساخر عندما ينشد للأغراض الاجتماعية والسياسيه، تكون لغته أكثر اعتدالًا بسبب نواياه غير الشخصية والمنفعة وأيضًا، أي اعتماد على قبح الشيء، سواء كان ادعاءً أم حقيقة، يسمى هجاءً. يعتبر الدكتور سيروس شميسا في كتابه أنواع الأدب للهجو معنيين: أحدهما يعني التعمق حيث هو أساس لجميع الأنواع التي تعكس البطل بصورة أكثر مما هو عليها. ولا ينتبهون إليه جيدا لهذا ذكرنا السخرية والبارودي وشهرآشوب ضمن فروع الهجو. في السخرية التي لها شكل شعري (في الغالب على شكل مقطوعة)، يستغل الشاعر كل جهوده لفضح الشخص وإذلاله، وفي هذا الصدد يقود العمل إلى المبالغة وأحيانًا إلى القبح. (شميسا، ١٣٨٦: ٢٤٤) حطيه من أبرز شعراء الجاهلية وصدر الإسلام، وكل الأدباء متفقون على أنه من أعظم الشعراء.

اسمه في الأصل جرول بن اوس(ابن سلام،١٣٤٥: ٩٣) نسبه مبهم و معقد (الاصفهاني،١٩٨٦: ١٥٨/٢) كنيه اوابومُلَيكة نسبة إلى بنته مُلَيكة (الحطيئة، ١٩٥٨: ٤١) ولقبه الحطية، وهو الاسم الذي نعرف به الشاعر، هو في الواقع لقب يعني القصير وجه له لقصر قامته وقبحه (جان محمد، ١٣٨١: ٦١) لحطيه أشعار كثيرة و موهبة فياضة وشعر متداول وشهير. إلى أن قيل: كتب الأصمعي أربعين قصيدة منه في ليلة واحدة (الأصفهاني ١٩٢٨: ٢ /).١٧٤) حطيه من أعظم الشعراء وأكثرهم بلاغة، وقد جال في جميع المضامين؛ مدح، وهجاء، وفخرا، وإلخ، وهو حاذق في جميعها. (نفسه: ١٥)

بيان المسئلة:

نسبه المجهول قد أدّي إلى تجوله في الحياة. أحيانًا كان يعيش بهدوء مع القبائل، وأحيانًا يسخر منهم طالبا ميراث والده. قد هجي الشاعر والدته وأبيه و نفسه أيضا. سجنه الخليفة الثاني عمر، بسبب هجاءه، ثم اشترى منه سمعة المسلمين مقابل ٣٠٠٠ درهم وطلب منه أن لا يهجو المسلمين. لقد فعل الشيء نفسه إلى آخر يوم من حياته. وقد روى هذا الموضوع ابن قتيبة في كتابه الشعراء: إن رجلا اسمه حطيئه يسكن في قبيلة زبرقان بن بدر، إنهم قاموا باهانته فابتعد عنهم وسكن في طائفة البغيض فكرّموه واحترامو‌ه، ثم انشد قصيدة في ذم الزبرقان ومدح البغيض، والتي ورد ذكرها في شعره الأخير:

دع المكـــــارم لا تنـــــهض لبغيتـــــها واقعـــد فانـــك انـــت الطـــاعم الكاســـى

قد تألم زبرقان من سماع شعره واشتكي منه عند عمر وقرأ له شعره الأخير. قال له عمر: لم يهينك أبدا. أ ليس أنك تريد أن تطعم وتكس؟ قال زبرقان: لكن ما من إدانة وسخرية أعظم من هذا، فطلب عمر من حسان بن ثابت أن يحكم في هذا الصدد. قال حسان لعمر: حطيئة لم يهجو زبرقان فقط بل ترك نجاسة فيه. اعتبر ابن أبي الحديد في شرحه لخطبة الشقشقية أن قصيدة حطيئة من أكثر القصائد العربية هجوا. في الأساس، هناك العديد من العوامل التي أثرت في ظهور هذا النوع من الشعر، والتي تختلف باختلاف السمات الشخصية للأفراد وبيئتهم المعيشية بشكل عام، بصورة عامة يمكن تقسيم هذه الدوافع إلى أربعة محاور: نفسية، واجتماعية، وفنية، وسياسية (نيكوباخت، ٢٠٠١: ١٨٦). دراسة هجويات حطيئة تدلّ على أن هناك عوامل إجتماعية كثيرة كاالنقص في الجسم، عدم الأصالة، والمكانة الإجتماعية الهابطة قادت الشاعر إلى انشاد الهجو. عان حطية منذ نعومة أظفاره الحقارة وذلك لمنظره الكريه (ضيف،٢٠٠٢: ٩٧)

(يقول الأصمعي عن أوصاف حطيئة الظاهرية: كان وجهه قبيحًا وجسمه نحيفًا وهزيلًا "(الأصفهاني، ١٩٢٨: ١٦٣/٢).

وحطيئة كذلك يعبر عن هذه الحقارة في أبيات شعرية منها:

أَبـــت شَـــفَتاي اليـــوم إلاّ تَكلّمـــا أَرى لـــي وجهـــاً شَـــوه االلهُ خَلقَـــه

بِشـــرٍّ فَمـــا أَدري لمـــنْ أَنَـــا قَائلُـــه فَقُبـــّح مـــن وجـــه وقُبـــّح حاملُـــه

(الحطيئه،١٩٥٨: ٣٣٢)

في البيت الثاني من هذه القطعة الشعرية، يصف حطية وجهه القبيح ويقول إن هذا القبح لا يطاق ويسبب القبح والشر لصاحبه. أصبح الحطيئة منزويا وذلك لعدم احتفاء المجتمع به فأحسّ بعدم الهوية والأصالة. لأنه بذل مجهوداً كبيراً للتعرف على والده.

سأل والدته مراراً عن أصالته، لكنه لم ينجح واعترف به الجمهور كشخصية مجهولة. يصرّح الشاعر في شعره إلى هذا الموضوع:

تَقُـــولُ لي الضِّـــراء لَســـت لواَحـــد ولاَ اثـنَينِ فَـانْظُرْ كَيـف شـرُّك أُولَئكَـا

وأنْـت امـرَؤٌ تَبغـي أَبـاً قَـد ضَـلَلتَه هبِلْـت أَلَمّـَا تَستَفـقْ مـنْ ضَلالكـَا

(الحطيئه، ٢٠٠١: ١١٦)

وتجدر الإشارة إلى أن المجتمع العربي في العصر الجاهلي كان قبليا من الناحية الاجتماعية (خليف، ١٩٦٦: ٨٨) وكانت القبيلة تتكون من ثلاث مجموعات: صرحاء، موالي، وعبيد. الصرحاء هم الذين يعتبرون من أب واحد ويتميزون بأصالة الدم (المصدر نفسه: ١٠٥). والمجموعة الثانية هي العبيد الذين تم تحريرهم أو هم الأحرار الذين قد التحقوا بالقبيلة. المجموعة الثالثة هم العبيد، و كانوا من الأسري أو قد تم أسرهم من خلال الحروب أو تمّ إحضارهم من الأراضي المجاورة مثل الحبشة(المصدر نفسه، ١٠٨).

كان للطبقة الأولى مكانة اجتماعية عالية، وهذا الأمر جعل الفرد يفتخر بالساحة الاجتماعية، وكان يعتبرها ميزة غير عادية له (الفاخوري، ١٤٢٧: ٩٠). وفقا لهذه الظروف، فاقدي هذا الإمتياز مثل الموالي والعبيد، كانوا يُعتبرون أناسا حقيرين، وهذا أدّي إلى فشلهم. (ابن منظور، ١٩٨٦: ٥٣/٤) في مثل هذا النظام الطبقي، كان حطيئة يعتبر من فئة العبيد. لأنه لا يملك حسبا عاليا بل كان ابن جارية اسمها ضراء. (فاخوري، ١٣٨٣: ١٤٩).

لهذا في ذلك المجتمع لم يكن حطيئة صاحب منزلة عالية ومكانة مرموقة بل كان ينظر إليه بعين الذل والإحتقار.

مضامين هجائيات الحطيئة:

هدف السخرية النهايي هو ضد الثناء. والغرض من المديح هو كسب رضاء الممدوح، ولهذا السبب يختار الشاعر الكلمات الجميلة والصفات اللطيفة لتحقق هدفه.. لكن الغرض

من الهجاء هو إزعاج العدو. يسعى الساخر إلى استخدام الكلمات والتعبيرات والسمات والمميزات التي لها دلالات سلبية وتسبب الاستياء من الطرف الآخر.

ومن الصفات والعيوب التي يستخدمها حطيئة في السخرية:

البخل والإذلال وسوء معاملة الجيران والغباء والنميمة وقلة الأصالة وعدم الاهتمام بالضيوف وقلة الحماسة والهروب من الحرب والخوف.

مضامين البخل في هجائيات الحطيئة:

وصف بخل زبرقان وقومه

لَقَـــد مـــرَيتُكُم لَـــو أَنّ درتَكُـــم ... يومـاً يجِـيء بِهـا مسـحي وإبِساسـي

وقَـــد مـــدحتُكُم عمـــداً لأرشـــدكُم ... كَيمـا يكُـونُ لَكُـم متحـي وإمرَاسـي

وقَـــد نَظَـــرتُكُم إعشَـــاء صـــادرةً ... للخمـسِ طَـالَ بِهـا حـوزِي وتَنساسـي

(الحطيئه،١٩٥٨: ٢٨٣)

في هذه الآيات يظهر بخل زبرقان و قومه بصورة استعارية. لأن الشاعر بتصويره لمثل هذا المشهد يصور بؤسه وتعاسته بين أهل الزبرقان ويذكر أنهم لم ينتبهوا له ولا يكرمونه. في هذه الآية يصف بخل زبرقان وامساكه بطريقة أخرى:

قـــيم علـى بنبـــانَ يمنَـــع مـــا ء ... و مـــاء وشـــيعٍ مـــاء عطشـــانَ مرمـــلِ

(همان: ٢٩٥)

يقول في وصف بخل بني يجاد:

بلُـــد الحفيظَـــةِ واحـــد مـــولاهم ... جمـد علـى مـن لَـيس عنـه مـج مـد

(همان: ٢٩٩)

يقدم صورة سخيفة وساخرة عن البخيل في الآيات التالية:

كَـــدحتُ بأَضـــفاري وأَعمَلـــتُ مِعـــوَلي ... فَصَـادَفتُ جُلمُـوداً مِـنَ الصَـخرِ أملِسَـا

تَشَـاغَلُ لَمَـا جِئـتُ فِـي وَجِـه حـاجَتِي ... وَأطـرَقَ حـتى قُلـتُ قَـد مَـاتَ أو عَسَـى

وَأجمَعَـــتُ أن أنعـــاهُ حـــتى رَأيتـــه يفَـــوقُ فُـــوَاقَ المَـــوتِ حـــتى تَنَفَسَـــا

(همان: ٢٨٢)

الشاعر هنا يصور شدة بخل رجل، حيث إذا طلبت منه حاجة، كأنك تريد أن تقتله، وإذا طلبت منه حياته، من الأفضل أن طلب منه حاجة بذل ذلك.

الهجاء والثناء لكسب الصلات:

إنه كان يعاشر الشيوخ والأكابر، كان يكسب الصلات أحيانًا بالثناء وأحيانًا لدفع شر هجائه اللاذع، وبهذه الطريقة يقضي وقته. لقد كان قوياً للغاية في المديح لدرجة أنه يحوّل لقب المهانة إلى عنوان فخر، فانشاد الشعر للأسر و الأكبار قد أدي إلى علو منزلته تارة والي احباطه وادانته تارة أخرى.. حيث قد رفع شعره منزلة آل أنف الناقة الأنهم قد غضبوا من هذا اللقب إلى أن قال حطيئة في مدحهم:

قـــوم هـــم الانـــف والاذنـــاب غيرهـــم ومـــن يســـوى بـــانف الناقـــة الـــذنبا

المديح والهجا كانا من أهم مضامين حطيئة الشعرية. إنه كذلك كان بارعًا في الموضوعات الشعرية الأخرى مثل الفخر والنسيب (الغزل في مقدمة القصائد). حتى أنه كتب قصائد في وصف المركب والناقة.

كان الحطية بخيلا وجشعا وحريص على كسب المال إلى درجة الذل، فيدعى أحد بخلاء العرب الأربعة. يؤيد حطية هذا القول ويقول: إنه لولا جشعه لكان من أبرز الشعراء العرب ويري نفسه في طليعتهم ولو أنه كان يميل إلى ذكر الحق ويعترف بمن أحق منه..(https://rch.ac.ir)

حطيئة بسبب غضبه وكراهيته لقبيلة عبس، قام بملامتهم وهجوهم يدفع وشبه آباءهم بالقرود للتعبير لكي يخفف آلامه ومصائبه. تشبيه آباء بني عبس بالقرود، يرجع إلى بعدين خارجي و داخلي لأن الشاعر يقصد أن يرسمهم بأسوأ وأقبح صورة من حيث الظاهر كما يصور عيوبهم الباطنية بأسوأ طريقة ممكنة.

لهذا السبب يختار من بين الحيوانات القرد، لأنه يناسب أوصافهم الخارجية والداخلية. ولو أنها يمكن أن تكون حقيقة أو ادعاء.

لَهـــم نَفَـــرٌ مثـــلُ الثَّيـــوسِ ونســـوةٌ مـمـــــاجين مثـــــلُ الآثـــــنِ النِّعـــــرَات

(همان: ٣٣٢)

في العديد من التشبيهات وفي سياق المديح، الإلحاح والمثابرة والهجوم واضح جدا. غير أن حطيئه قد غير هذه الصورة ببراعة خاصة واستخدمها في سياق السخرية والهجاء ليشير إلى سمات المهجوين القبيحة. لأن ذكر الماعز، علاوة على صفاته الحسنة، له سمات قبيحة مثل العناد والعصيان والغضب والعنف.

لـذلك، كـان هـدف حطيئـة في رسـم مـاعز لم يكـن مجـرد رسـم الصـفات القبيحـة للمهجويين. في تشبيه آخر لهذا البيت، يعرّف حطيئة نساء القبيلة المعادية على أنهن حمير. بـالطبع، لم يكتـف بـذكر التشـبيه فقـط بـل اختـار لهـذا الحيـوان، حالـة معينـة وهيئـة معينـه (النعرات) لكي يجعل الصورة العادية غير عادية وقبيحة.

من خلال التعبير عن حالة حوافر الحمير، يرسم الشاعر صورة قبيحة تمامًا لأنثى الحمير برغوة فمها وحالة قلقها واضطرابها، من أجل إنكار كل صفات المرأة الجميلة واللطيفة ويغير حالتها وخصائصها الجميلة إلى القبح.

استخدام الاستعارة في هجاء الحطيئة:

يستخدم حطيئة هذا النوع من الصنائع الأدبية في الهجاء خمس مرات فقط. الأبيات التي قد جاءت فيها الاستعارة هي على غرار التالي: ١٩٥٨: ١٢٣، ١٤٤، ١٤٥، ٢٨٣.

أنموذج للإستعارة المستخدمة في هجاء الحطية:

لَقَـــد مـــرَيتُكُم، لَـــو أَنّ درتَكُـــم يومـاً يجِـيء بِهـا مسـحي وإبساسـي

(همان: ٢٨٣)

يعرض الشاعر في هذه البيت تفسيراً دقيقاً وجميلاً، ويشبه نفسه بحالب جمل عقيم. ثم يقترض لنفسه صفاتا ك"مسح" و"ابساس" و "مري" التي هي من لوازم المشبه به ويحذف المشبه به. في هذا التشبيه، يصور الشاعر مشهداً حقيقيًا وحسيًا وملموسًا مأخوذًا من البيئة الجاهلية؛ حلب الإبل صورة حقيقية ومألوفة للعرب الجاهلين. الشاعر يستخدم هذه الصورة كبديل لمعانيها الذهنية؛ حيث يسعي بواسطتها يرسم لنا جهوده للوصول إلى الكرم، ليبين لنا

كيف حاول أن يصل إلى عطاء الممدوح، لكن لم ينال ما يرجوه.

استخدام الكناية في هجاء الحطيئة:

يستخدم حطيئة الكناية في شعره مرتين فقط. إنّ قبيلة ابن جحش ذليلة وغير طاهرة ومذنبة ورماحهم بطيئة. في هذا البيت يستهدف الشاعر ذكر إثم قبيلة ابن جحش:

مـــلُوا قـــرَاه وهرّتـــه كلَـــابهم وجرِّحـــــوه بِأَنيـــــابٍ وأَضـــــرَاسِ

(همان:٢٨٤)

وجود الكلاب في قصائد المديح والهجا لها علاقة قوية بالضيافة؛ يقدم حطيئة أيضًا صورة ساخرة ترافقها ملاحظات دقيقة يقصد بها البخل ساحق، لأن عندما يكون كلب أليف مع أشخاص آخرين غير صاحب المنزل ليس لديه حب وعاطفة، تدل على عدم الضيافة

استخدام قوالب الحطيئة في الهجاء:

إن مجموعات حطيئة الشعرية تكون في قالبين هما القطعة والقصيدة. وهذا الأمر يرجع إلى أسلوب الهجاء؛ لأن هذين القالبين هما من القوالب الرائجة في هذا المجال. (كاسب، ١٣٦٦: ١٦٥) يهجو حطيئة في معظم هذه القوالب، هجوا صريحا ومباشرا، وقلّما أن يسخر ضمنيًا وكنائيا. ومن سمات شكله الشعري انحصاره في قالب واحد دون مزجه بأغراض شعرية أخرى. بمعنى آخر، فإن معظم قصائده الساخرة مستقلة عن أغراض شعرية أخرى.

هجائه لأمه، ولأخيه، والأقارب هي من هذا النوع. وهذا النوع يختلف عن هجا عصر الجاهلي وصدر الإسلام؛ لأنهم استخدموا عدة أغراض شعرية في الشعر وقلما قصروا جهودهم على هدف واحد، بغض النظر عن الأغراض الأخرى.

تجدر الإشارة إلى أن انحصار الغرض الشعري في الشعر يؤدي إلى نوع من الوحدة الموضوعية. وبالتالي، فإن قصائد حطيئة الساخرة لها سمة أخرى، وهي وحدة الموضوع الذي قلما توجد في الجاهلية. يجمع حطيئة الأبيات معًا بحيث ترتبط بعضها البعض وتعبر عن فكرة؛ بالطبع، هذه الوحدة تنبع من حقيقة أنه ليس يرجو الذكتساب بشعره؛ بل هو نتيجة الكراهية وعدم الرضا والاستياء من هؤلاء الذين قد قام بهجوهم. لأنه إذا كان هجوه

للتكسب، فقد عرضه في سياق أغراض مختلفة لكي يجلب انتباه الآخرين. الذل والهوان في هجاء الحطيئة:

قد عبر الباحث في هذا الجزء عن بعض الذمائم والرذائل التي كان الشاعر يشير إليها.

يقول حطية، مشيراً إلى صفات الأم وزوجها بصورة مشينة ومهينة:

لَقَد رأيتُك في النِّساء فَسؤتني ... و اَبا بنيك فَساء ي في المجلسِ

(همان: ٢٧٣)

في هذا البيت، يعرّف حطيئة والدته على أنها وقيحة وفاسقة، ويعتقد أن وجودها بين النساء تحقير وإذلال لهن. كما يحتقر زوج أمه بإنسان عديم القيمة والمكانة.

يقول حطية في وصف إذلال بني بجاد هكذا:

فأما بِجاد رهط جحش فَإِنَّهم ... على النَّائبات لا كرام ولا صبر

إذا نَهضَت يوماً بِجاد إلى العلَي ... أَبي الأشمطُ المزهوقُ والناشئُ الغُمر

تَدرونَ إن شُد العصاب عليكم ... وَأبي إذا شد العصاب فما نَدر

نعام إذا ما صيح في حجراتكُم ... وأَنتم إِذا لم تَسمعوا صارِخاً دثُر

تَرى اللُؤم منهم في رِقابٍ كَأَنَّها ... رِقاب ضباعٍ فوق آذانها الغَفَر

ونَحن إذا جببتُم عن نسائكُم ... كما جببت من عند أَولادها الحمر

(همان: ٣٠٥)

في بضع أبيات هذه القصيدة، استخدم الشاعر سلاح السخرية، من أجل تخفيف نار كراهيته تجاه بني بجاد، ويذكر العيوب الجسدية المعروفة عند العرب وانتسابها إلى هذا القوم، خطي خطوة في طريق إذلالهم و أن يقلل من قيمتهم.

ومن أهم العيوب المهينة التي يتصدى لها الشاعر في هذه القصيدة: الملل، والكسل، والخوف والذعر، وقلة الحماسة، والتنشئة الذاتية، والتخلي عن السعي والعظمة.

طبعا لابد من أن نضيف أن الشاعر إزاء ذكر هذه العيوب وسلب الخصال الطيبة والمرضية من قبيلة المهجو يقوم بالتطرّق إلى الصفات الحسنة والمرضية لقومه وإزالة العيوب

المذكورة عنهم وبهذه الطريقة يفضل يقوم عليهم.

مستوى لغة حطيئة:

هذا المستوى هو أكثر شمولا بين سائر المستويات الأخرى التي تمت دراستها في علم الأسلوب.

يتضح لنا من خلال دراسة هجائه أنه صاحب لغة عفيفة، ولا يستخدم ألفاظا بذيئة وشتائم وقلّما يستخدم كلماتا تجعل المهجو حقيرا ومثيرة الاشمئزاز. لذلك يمكن القول: في هجاء حطيئة لا نجد الشتائم والإهانات، كما هو الحال في أشعار الشعراء الجاهليين، مثل الطرفة والمتلمس وشعراء العصر الإسلامي، وكذلك جرير وفرزدق.

اختيار الكلمات وترتيبها:

يختار حطيه الكلمات ويرتب الجمل باستخدام الفاظ الهجاء. لهذا السبب هو أحد الهجائين النموذجيين.

تعابيره صلبة ورصينة ومن حيث ترتيب الكلمات وسياق العبارات، فهي جميلة ودقيقة للغاية. كلماته الموزونه تلهم الفكاهة والسخرية والإذلال، وفي أغلب الأحيان تثير الضحك. (حسين محمد، ١٩٧٠: ١٣٥) ينبغي أن نقول إنّ الحطيئة كان من نواب المدرسة المضرية وهو راوية كعب بن زهير. نتيجة لذلك، تأثر بتلك المدرسة و كذلك كعب في اختيار الكلمات ونقائها. الآن، لتأكيد هذه الملاحظة، سنقدم بعض الأمثلة على اختيار الكلمات وترتيب العبارات في قصائد حطيئة الهجائية:

لا يصـــبِرون ولاتَـــزَالُ نســـاؤُهم تَشكُو الهـوانَ الـي البئـيسِ الأَبـأسِ

(الحطيئه، ١٩٥٨: ٢٧٣)

يتم استخدام كلمتا البئيس و الأبأس بصورة التي تدل على أنه قوي في اختيار الكلمات وترتيبها و كذلك شدّة حقارة المهجو ورذالته.

يعطـي الخسيسـةَ راغمـاً مـن رامهـا بالضّـيمِ بعـد تَكَلّـح وتَعـبس

(همان: ٢٧٣)

استخدم الشاعر هنا كلمتي"تكلّح و تعبس" للدلالة على معني المراد والمقصود أي الجود الذي يرافقه المنّ؛ بعبارة أخرى، تلهمنا هاتان الكلمتان شدة الانزعاج والارتباك في الوجه بأحرفه خاصة الحرفين(التاء واللام). ومع ذلك، أحيانًا تميل لغة حطيئة إلى الضعف والركود في الكلام، ولا يظهر أي أثر لأسلوب مدرسته، ويستخدم المعاني في بنية بسيطة.

بالطبع، ربما يعود سبب عدم الانتباه إلى اختيار الكلمات وضعف الكلام إلى الانزعاج الشديد والاستياء الذي يشعر به الشاعر؛ لأنه بسبب شدة الحزن والبغضاء تجاه المهجو، يسعى فقط للتعبير عن ضغائنه الداخلية وعداواته، دون اختيار الكلمات والعبارات. على سبيل المثال نشير إلى نموذجين في هجاء والده، قال:

لحاك اللهُ ثُم لَحاك حقّا ... أبا، ولَحاك من عم وخالِ

فَنعم الشّيخُ انت على المخازي ... وبِئس الشّيخُ انت لَدى المعالي

جمعت اللؤم، لا حياك ربي ... وابواب السفاهةِ والضّلالِ

(همان: ٢٧٦)

في هذا الأبيات، الفاظ تالمكررة و البسيطة مثل "لحاك"، "بئس"، "الشيخ"، و"الضلال" تدلّ على أن الشاعر في هذه الأبيات لا يتّبع زهير في تهذيب الكلمات وتنقيحها.

الرموز الحيوانية في هجويات حطيئة:

منذ العصور القديمة، استخدم الشعراء الرموز الحيوانية للتعبير عن نواياهم في الهجاء، ويعتبر معظمها رموزا لسمات قبيحة في الثقافة الشعبية. على سبيل المثال، تم استخدام القرد رمزا للقبح والثعلب رمزا للخداع لتقليل كرامة مهجويهم (حلبي، ١٣٦٤: ٦٣).

إحدى مميزات أسلوب حطيئة من حيث المفردات هي استخدام الرموز الحيوانيه في الهجو. في قصائده الهجائية كذلك كسائر شعراء الهجاء قد تم استخدام رموز حيوانية مختلفة. يصور حطيئة هذه الرموز بناءً على الجوانب الداخلية أو الخارجية لأعدائه أو مهجويه؛ لهذا؛ قد تمثل هذه الرموز جوانب حقيقية أو مزعومة للمهجو. نظرة اجمالية في أشعار حطيئة الهجائية تدلّنا على استخدام عشرة حيوان في اثني عشر مرّة.

أبلغ بني عبسٍ بِأَنّ نجارهم ... لَؤم و أَنَّ اَباهم كَالهجرِسِ

(همان: ٢٧٣)

ولكـــنّ ســـــهماً أَفســـــدت دار غَالـــبٍ كَـــا أعـــدت الجـــرب الصـــحاح فَعـــرَّت

(همان: ٣٤٢)

النتائج:

نستخلص النتائج التالية لبحثنا عن الهجاء في قصائد حطيئه نذكر هكذا: حطيئه من الشعراء البارزين الذين تطرقوا إلى جميع الأغراض الشعرية كالمديح والهجو. (أصفهاني، ١٩٦٣: ١٥٧/٢) سنة وفاة حطيئه كسنة ولادته مجهولة. (الهدارة، ١٩٩٥: ١٥٢) إنّه كان ذو جسم ضعيف ووجه قبيح. (ضيف، ١١١٩: ٩٥) عيونه الجاحة في وجهه قد جعلت منه شخصاً مضطرباً وغير هاديء، حيث القذف والافتراء من سمات شعرة البارزة:

أَبَـــت شَـــفَتاي اليـــومَ إلا تَكلُمـــاً بِسُـــوءٍ فَـــلا أَدرِي لِمَـــن أَنـــا قائِلُـــه

أَرَى لِـــي وَجهـــاً شَـــوَهَ اللهُ خَلقَـــهُ فَقُـــبِحَ مِـــن وجـــهٍ وَقُـــبِحَ حامِلُـــه!!

(الحطيئه،١٤١٦: ١٦)

"حطيئه كان يميل إلى الشر والجشع والبخل والذل بشدّة. إلى أن اعترف والدته ووالده و وزوجته بأنهم لم يسلموا في مأمن من هجوه. (الهدارة، ١٩٩٥: ١٥٥) وبعد اعتناقه الإسلام جاء إلى الرسول الكريم ﷺ وانشد ابياتا في حضوره. عندما مات النبي ﷺ، ترك حطيئة الدين.(فروخ، ١٩٨٤: ٣٣٢/١) يقال عن هذا الأمر: إنّ حطيئة "كان دائما ضعيفا ومنافقا في اسلامه. لم يمض وقت طويل إلى أن أصبح أحد القادة المرتدين ". (عزمي، ١٩٩٢: ١٧٢) وقد قالوا أيضًا:

الروايات مختلفة عنه. "لكن يتفق الجميع على أنه كان ضعيفًا في تمسكه بالإسلام ولم يكن مهتمًا بالدين". (طه حسين، ١٩٨١: ١٩٤/١) الصفات الذميمة قد جعلت منه أسوة لصفات القبيحة" (طماس،١٤٢٣: ٦).

اضافة إلى ذلك، قصر قامته، ضعف جسمه وسوء مظهره، جعل منه شاعرا مشمئزا وثائرا. إنه كان مرغما لحماية نفسه من سخرية الآخرين؛ وبسبب هذا، أصبح شخصًا مخيفًا "يشترى منه الآخرون سمعتهم بمنح ممتلكاتهم". (طه حسين ١٩٧٤: ١٣١/٢)

الحطيئة كان قادرا في جميع الأغراض الشعرية من المدح والسخرية. (تميم فاخوري،

١٤٢٣: ٧٣) ومن يقرأ مدائحه، يستطيع أن يميز أسلوب الشعراء الجديرين بالثناء والمتسولين الذين عرفوا بالتكسب في العصر الجاهلي، وسيدرك مدى جشع الشاعر في أخذ الصلات. (حنا الفاخوري، ١٩٩١: ٢٤٤) وبنفس الطريقة كانت قصائده الهجائية وسيلة لكسب المال.

قائمة المصادر والمراجع

١- الاصفهاني، ابوالفرج، الاغاني، قاهره: دار الكتب، ١٩٢٨.

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار الصادر، ١٩٩٠.

٣- ---------، لسان العرب، بيروت: دار الاحياء التراث الاسلامي، ١٩٩٢.

٤- جبران محمود، بيروت: الرائد، ١٩٧٠.

٥- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء،(شرح محمود محمد شاكر)، بيروت: مطبعة دار المعارف، بي تا.

٦- ---------- طبقات الشعراء: مع مقدمة تحليليه للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر.

٧- الاسلام بيروت: دار النهضة العربية، (اعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي).

٨- حسين محمد، محمد، الهجاء و الهجاؤون في الجاهلية (الطبعة الثالثة)، بيروت: دار النهضة العربيه، ١٩٧٠.

٩- الحطيئه، الديوان بيروت: دارالمعرفه، ٢٠٠٥.

١٠- الحطيئه، الديوان، الطبعة الأولى، شرح ابن السكيت و السكري و سجستاني، (تحقيق: نعمان طه) قاهره، مطبعة مصطفي البابي الحلبي و اولاده، ١٩٥٨.

١١- سامي، الدهان، الهجاء، فنون الادب العربي: الفن الغنايي، (الطبعة الثاني)، قاهره: دارالمعارف، ١٩٥٧.

١٢- السلطان، جميل، الحطيئه، بيروت: دارالانوار، ١٩٦٨.

١٣- شفيعي كدكني، محمد رضا، موسيقي شعر(چاپ چهارم). تهران: انتشارات آگاه، ١٣٧٠.

١٤- شميسا، سيروس، كليات سبك شناسي (چاپ چهارم)، تهران: انتشارات فردوس، ١٣٧٥.

١٥- عبدالجليل، جان محمد، تاريخ ادبيات عرب،(ترجمه آذرتاش آذرنوش)، تهران: اميركبير، ١٣٨١.

١٦- الفاخوري، حنا، الجامع في التاريخ الادب العربي، قم: الطبعة الثالثة، ذوي القربي، ١٤٢٧.

١٧- فرخ، عمر، تاريخ الادب العربي: الادب القديم،(الطبعة الخامسة)، بيروت: دارالعلم للملايين، ١٩٨٤.

١٨- فيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، قاهره: دار الكتب، بي تا.

١٩- كاسب، عزيز الله، چشم انداز تاريخي هجو، تهران: مولف، ١٣٦٦.

٢٠- معلوف، لويس، المنجد في اللغة، قم: انتشارات دار العلم، ١٣٨٤.